

## اللغة العربية في المحيط العام

د/ يوسف مقران

المركز الجامعي - تيبازة

مقدمة

إنّ وضع العربيّة في المشهد الخارجي هو مخجلٌ في معظم مدن الجزائر على الخصوص. وهو وضعٌ لا تُحسّد عليه إذ نشاهد اللافتات واللاصقات ولوحات الإشهار والتشهير في الشوارع حيث لا لغة تعلو على الفرنسيّة. وحتى الإنجليزيّة أصبحت محظوظة في أيامنا الأخيرة. وهما لغتان يطغيان كلغتي التواصل الإشهاري وفي المحلات التجارية الراقية منها والبسيطة وكذا مؤسسات الدولة وغيرها. وتظهر العربية باستحياء وهي مرغمة على مجرد نسخ الصوت الفرنسي أو الإنجليزي بحرفها الذي تطاله أخطاء الإملاء في الغالب الأحيان، بل حتى ما يُراد أن يُكتب بالعربية صوتاً وحرفاً سليمين يوقّع في خطأ نقله ورسمه على الجدران أو اللافتات التي لا تتعهدها أجهزة الدولة بالمراقبة والتنظيم ولا يُفكر المواطن إصلاح الوضع أو على الأقل في التنديد بمثل هذه الإساءات المخلة بالعقل البشري نفسه.

## 1. نموذج الدراسة السّمائية:

فالدراسة السّمائية لهذا الوضع لابدّ ستكشف عن تخلف كبير في الممارسات وعلاقة الفرد الجزائري (العربي) مع لغته العربية في محيطه البيئي والاجتماعي المرئي منه والمسموع، كأنّ المواطن يتلذذ بالإساءة إليها بهذا

الشكل المزري، وفي اللافتات حيث يطغى الحرف اللاتيني. ونقرأ الترجمات العربية التي توضع في مقابل إرشادات الاستعمال التي ترتفق بكل سلعة ودواء ومواد استهلاكية، ما يوحي منه بالزور القليل من الجهد المبذول من أجل الرقي بالعربية إلى مستوى اللغة التي تُفهم وتُفهم. إن شعار تعميم استعمال اللغة العربية يشهد تخلفاً في تطبيقه وانتكاسة في تبنيّه حتى على مستوى الوثائق الإدارية التي تنظّم العلاقات داخل المؤسسات وخارجها.

ونحن نتساءل من هذا الموقع الجامعي ونندد: أين دور العمل الجماعي الذي من أضعف الإيمان أن يقوم بحملة توعية للقيادات السياسية والعلمية والجهات الداعمة، من أجل التخفيف من وطأة المصبات العشوائية التي لا تحترم كرامة اللغة العربية.

وإذا تحرّينا الموضوعية في دراسة هذا الوضع واخترنا أقلّ اللافتات واللاصقات إلحاقاً بالضرر الذي يستهدف اللغة العربية، تلکم الصورة المستشهد بها والتي تظهر على الشاشة (الصفحة الموزعة عليكم)، وقد تعودتم الاحتكاك بتلکم الصورة وهي تعيش بينكم وألفتموها إلى درجة التّماهي معها والتسيّب في التعامل معها.

تتضمّن هذه اللافتة علامات اصطلاحية، بعضها أدلة لغوية وبعضها الآخر رسوم محاكية للصور (للأشياء الخارجية) التي تحيل عليها كما ترد في الواقع المحسوس، ولكنها محمّلة بدلالات رمزية قائمة أو تابعة أي تشقّر وتُفكّك وفق الثقافة التي تسعها وتندمج فيها. وهي لاصقة يراد بها التواصل مع جمهور الزبائن. ولكن هل وفقت اللافتة بهذه التركيبة أن تتواصل مع الزبون الذي يتمثّل في أفراد الأسرة الجزائرية، وإذا حاولنا تحليل علاقة

الزبون بالسلعة المرّوج لها عبر هذه اللاصقة، نجده مستهدفاً بطريقة لا تراعي اللياقة اللغوية ولا اللّباقة التواصليّة. ذلك أنّها تحلّ بنظام اللغة التراث والشخصيّة الوطنيّة للفرد الجزائري وتزري بمقامه الدولي (إلى جانب الأمم). مع ما تدّعيه من مراعاة لسياق الحال الجزائري التعدّدي أقصد التعدّد اللغوي، إنها لعشوائيّة لا تكرّس سوى نفسها، ولا تخدم إلا الرّداءة المسيئة إلى المدنية ذاتها.

### 1.1 الأدلّة اللغويّة:

أمّا الأدلّة اللغويّة فهي تكاد تكون مستقرّة إذ تحيل إلى نظام اللغة العربيّة، بيد أنّه . وكشأن كلّ اللاصقات الإشهاريّة . تُدخل شيئاً من الضيّم على اللّغة، ونجد في هذه الصورة أنّ الضيم شمل العربيّة في حروفها وطريقة نظمها وكذا الفرنسيّة في حروفها (وهي إساءة مزدوجة للمواطن الجزائري المسكين. فما عدا المركّب النعتي (المنظّف المتزلي) المبني بناء (المنعوت الواصف المنسوب + النعت المنسوب إليه) فكلّ الأدلّة الأخرى قد مسّها نوعٌ من التصحيف والتزييف وهذا ليس على الطريقة التي فنّتها الخطاب الإشهار الذي ميّز كوكا كولا عالميّاً. ويظهر أنّ العيب في هذا التصحيف هو أنّ تتسلّل أصواتٌ واستعمالاتٌ غريبة إلى العربيّة عبر تأثرها بالحرف اللاتيني، ففي الوقت الذي كنّا نتوقّع أنّ ينال الصورة اجتهاد من قبيل وضع كلمة (صيانة) وتكريسها كعلامة تجاريّة، وجدنا التعريب يواصل فعلته ومسّحه حيث تُفضّل كلمة (صاني) على (صيانة)، وبدون التفكير في استثمار هذه القرابة في الأصوات ولا عناية بجماليات العربيّة التي تكفلها تلكم الكلمة الاقديمة الحديثة أي صيانة أو الصون، إذن نقول القرابة في الأصوات بين (صاني

التي جاءت من الكلمة الفرنسيّة (Sanitaire) التي اجتزأت فصارت Sani ومن ناحية التأثيل ترجع الكلمة إلى (Saint) أي نقية، ومنها أيضاً (Assinissement)؛ ومن الناحية الصوتية نلاحظ الوفاء بالنطق وفق النظام الخاص باللغة الفرنسيّة. أي استعمال (صاد) كحرف يُدمج الصائت (A) عوض (س) ونحن نستغرب التعويل على تسمية الفاكهة (الليمون) بالحرف اللاتيني (Citron)، وفق نظام اللغة الفرنسيّة دائماً. بينما يمتنع ذلك على الحرف العربي، وعلى الرغم من أنّ بعد اللون قد لعب دوره في الرسم الخطّي حيث جاء باللون الأخضر الدال دلالة خاصّة. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه على عجالة من أمره هو: كيف لا يُسند ذلك إلى الحرف العربي وهو حرف يتّسم بمعالم الجمال الخلّاب، ثم يُستظهر باللون المميّز المناسب للمقام وهو العطر والحياة والنضج والنقاوة .. الخ. في الوقت الذي أوكل فيه الأمر للحرف اللاتيني.

وأهمّ ما يثير الانتباه في هذه اللاصقة هو تحويل كلمة (ناصع) إلى كلمة لا تقلّ إichاءً منها وهي (ناصح). غير أنّ الشيء الذي يحزّ في النفس هو أنّ ما تحكّم في هذا الاجتهاد إلّا التبعية لنظام اللغة الفرنسيّة، حيث أنّ نعرف بأنّ الصوت (ع) غير موجود في النظام الصوتي العربي، استبدل به الحرف (ح) وهو غير موجود أيضاً ولكن يعمد الفرنسيون إلى أعمال الوقف إزاء كلمات مختومة بصوت (ح)، ويُستهجن صوت (ع).

وتكرّر رسم كلمة (NASSAH) مرّةً بتفخيم الحروف، ومرّةً أخرى بترقيها (NASSAH). ما يترك وقعاً يوهّم بشيء من تعليميّة الحرف الفرنسي. بقي أن نتساءل هل قصِد ذلك بالفعل أم لم يُقصَد !

## 2.1 العلامات الأيقونية والصور التشخيصية:

أما بالنسبة للعلامات الأيقونية والصور، فهي تدل على الأشياء الأدوات المستعملة في أشغال التنظيف، كالكناسة والبرميل وصورة الفاكهة. كلها توحى بسياق النظافة والنقاوة والخلوص من الشوائب، وهي من مؤثرات السلعة الخاجية، وهناك اهتمامٌ بتمييز المساحة المنظّفة، وعلامات تدلّ على البريق بالبياض، وكلها تدلّ على النضاعة.

وعلى مستوى الألوان، فقد فُرض اللون الأصفر واللون الأزرق، وكذا اللون الأبيض، وكلها ترمز إلى النقاوة وكذلك اللون الأخضر الذي يدلّ على الصحة الجسدية والسلامة البدنية. وهي من انعكاسات النظافة واللياقة البدنية.

## 2. محاولات التمكن في اللاصقة:

محاولة إدماج بدون تحسيس، فمصطلح (أساس) غير مكرّس لغويًا واصطلاحيًا، بمعنى (Composant) أو التعريد ، وهذه لفظة ذكّية إذا كانت مقصودة، حيث يترك اللفظ العربي يفرض نفسه ويُشهد على نجوعه، بدون أن يُرفق دائماً بلفظ غربي مقابل (بالفرنسية أو الانجليزية). وهو ما يسمّى بالتّمكين للمصطلح العربي.

سوء الخاتمة:

هناك كلمة (Merci) التي وردت في أسفل الأيقونة الأخيرة،

وهنا نتساءل ما المقام اللّغوي للزبون هل هو أحادي اللغة أم مزدوج اللغة ؟ لأن لا ينبغي أن نغيّب حقيقة الوعي أو عدم الوعي بهذه الحقيقة.

## 3. المشهد اللغوي في الجزائر:

إنّ المشهد اللّغوي في الجزائر. باعتباره نتاجاً لوضع تاريخيٍّ متميّز ووليد جغرافيّة خاصّة. يتميّز بمظهرين متناقضين في الظاهر ومنسجمين في الواقع، وهما التعايش والصراع. لهذا فليس من السهل وصفه بدون معرفة التاريخ والسياسة والثقافة. سنأتي إلى تفسير تلك المفارقة وهذا التعقيد أدناه. بينما

2 Le plurilinguisme, en Algérie, s'organise autour de trois sphères langagi واهمّ هنا التأكيد على أنّ ذلك المشهد اللّغوي "الجزائري" ينتظم حول ثلاثة فضاءات كبرى هي:

اللغة العربية الفصحى (المشتركة) بمختلف لهجاتها الراسخة في المجتمع الجزائري والمكرّسة للتواصل، وتعد اللغة العربية اللغة الرسمية منذ استقلال الجزائر في 1962،

اللّهجات الأمازيغة التي تأخّر الإقرار بمقامها الوطني إلى غاية 2002 وبالتالي بوضعها التعليمي<sup>1</sup>، على الرغم من تواجدها العريق واستعمالها الراهن والحيّ ومخزونها الثقافي الثري، وكذا الأنصار الملتقيين حولها والمنادين بها كمطلب شرعي في آخر المطاف<sup>2</sup>.

اللغة الفرنسية كلغة ثانية تحظى بمرتبة أولى ضمن اللغات الأجنبية المعوّل على تعليمها في الجزائر، وذلك نظراً لمكانتها التاريخية أيضاً. ولكنها لا تشكّل حالة من الازدواج اللغوي إلى جانب اللغة العربيّة الفصحى، وإذا ما قيسَت مع وضعي تونس والمغرب اللّذين يُعتدّ بالفرنسية فيهما على أساس أنها لغة إدارية على نفس المرتبة مع العربيّة ما فرض عليهما الانضمام إلى منظّمة الفرنكفونية<sup>3</sup>.

وإذا كان الواقع يشهد على أنّ كلّ فضاء من هذه الفضاءات يُمعن في الانغلاق على نفسه فإنّ حقيقة تعدّد الفضاءات قد رسّخت اعتقاداً بوجود حالة من التعدّد اللّغوي في الجزائر. ولكن هذا الوضع الخادع خلّف أيضاً فئة من الناس أصبحت تشكّك في التعددية اللّغوية وصارت ترفض أن تُشكّل الجزائر موطناً للاحتكاكات اللّغوية وما بالك بالتعايش اللّغوي والتفاعل الحري بأن يتعدّى إلى ما يُدعى في أدبيات اللسانيات الاجتماعية بالتعدد اللّغويّ على طريقة سويسرا وكندا وبلجيكا.. الخ، وذلك نظراً لغياب سياسات الترقية اللّغوية في الجزائر التي كان من المفروض أن تتأسّس على استلهاً التراث الأمازيغي والعربي (وحتى الاستعماري . لما لا !) ولقلّة وجود جسور التواصل ما بين الفضاءات الثلاثة المذكورة. ثم إنّ فكرة التعدّد اللّغوي يبدو لنا أنّها لم تصل جيّداً إلى الأذهان. فهل تواجد لهجات اجتماعياً مع أحادية لغوية في الإدارة والتعليم يعدّ نوعاً من التعدد اللّغوي ؟ أليس من سوء التنظيم أن تصدر قرارات تعميم العربية في الإدارة ولو إلى جانب الفرنسية ثم لا نجد في واقع الاستعمال إلّا هذه الأخيرة ؟





<sup>1</sup> في هذا الصدد ثمة مواقف متنوعة فثمة من تأسف وهناك ردود فعل عنيفة، يُنظر: Mohamed Benrabah, Langue et pouvoir en Algérie : Histoire d'un traumatisme linguistique, Editions Séguier (Coll. Les Colonnes d'Hercule), Paris, 1999, p.09.

<sup>2</sup> يُنظر: dalilaMorsly, Tamazight langue national, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. FouedLaroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.33-43), p.36-43.

<sup>3</sup> يُنظر: Gilbert Grandguillaume, Le multilinguisme dans le cadre national au Maghreb, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. FouedLaroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.13-19), p.18.